التحايا

تفريغ

أسباب النصر



للشيخ عطية الله الليبي

التحايا للإعلام الجهادي
قسم التفريغ
١٤٣٦ هـ ٢٠١٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم **تفريغ**

أسباب النصر

للشيخ/ عطية الله الليبي (رحمه الله)

مُؤسَّسَة التَّحَايَا
قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

نتحـدث عن موضـوع لعله يكـون خاتمة في مواضـيعنا، وهو موضـوع مهم يعني له أهمية لا بأس أن نتذاكر فيه ونتناقش فيه ونتحاور ونتأمل ونتـدبر، وهو موضوع (**أسباب الانتصار على العدو، الغَلَبة على الأعداء**)

نحن نعلم أن الله -سـبحانه وتعـالى- أمرنا وكلَّفَنا بـأن نجتهد ونسـعى ونحاول أن نغلب العدو، الغلبة على العدو والانتصار عليه أن تكـون الكلمة لأهل الإسـلام، والحكم لأهل الإسـلام، والدولة لأهل الإسـلام، والسـلطان والأمر والنفوذ لأهل الإسلام، هذا نحن مأمورون بـه، بتحصـيله، فالله أمرنا بالغلبة على العـدو، بالانتصـار عليـه، هـذا مطلـوب، ما أسـبابه القدرية والشرعية؟ نتحدث فيها ونذكِّر بها.

لماذا أنا أقول هذا الكلام؟ لأن بعض الناس يفهم فهمًا خاطئًا يعني يتـوهم، يقول: نحن علينا أن نجاهد ونقاتل وليس علينا النتيجة!

هذا الكلام له مَحْمَلٌ صحيح، وله مَحْمَـلٌ خطأ يقع فيه بعض النـاس، يعـني يُحمَل على وجه صـحيح يكـون يُفهم على معـنى صـحيح، يعـني يكـون له معنى صحيح، وله معنى آخر خطأ.

المعـنى الصـحيح قـول القائل: نحن علينا أن نجاهد ونقاتل وليس علينا النتيجة.

له وجه صحيح، وجهه الصحيح ماذا؟ يعني أننا سواء غلَبنا وانتصـرنا ونجحنا أو لم ننتصر ولم نغلِب فهذا فعلُ الله -سبحانه وتعالى-، وهذا مربوط بقدر الله -عز وجل- وقضـائه ولا طاقة لنا بـه، إنما نحن يجب علينا أن نفعل الأسباب الممكنة وأن نأخذ بالأسـباب وأن نجاهد كما أمرنا الله -عز وجل- ولكن النتيجة هي بيد الله، هذا كلام صحيح، هذا وجه صحيح.

لكن المعـنى الخطـأ، الوجه الخطأ أن يُقصَـد بهـذا الكلام أننا لا نجتهد ولا نسعى ولا نحاول أن نغلب العدو، أن ننتصر عليه، بعض النـاس يقـول لك: أنا أجاهد فقط.

تقـول له: طيب الجهـاد ليس هكـذا! لازم تفعل كـذا وكـذا وكـذا وترتيبـات مُعيَّنة وأسباب مُعيَّنة لازم تفعلها حتى تنتصر على العدو.

يقول: ليس مهمًا النصر، أنا أجاهد فقط، النتيجة على الله.

نعم، النتيجة على الله لكن بالأسباب، الله -سبحانه وتعالى- كما ذكرْنا سابقًا جعل لكل شيءٍ أسبابًا، وأمرنا بالأخذ بهذه الأسباب؛ حتى نتحَصَّل على هذه النتيجة، فنحن يجب علينا أن نسير على الأسباب بعد ذلك نُفوِّض إلى الله، الله يعطينا النصر أو لا يعطينا، النصر من عند الله وحده ولكن علينا أن نبذل الأسباب ونأخذ بالأسباب ثم نقول: النتيجة على الله.

وعلينا أن نجتهد في أن ننتصر على العدو ونغلب العدو ونقهر العدو وتكون لنا نحن السلطة، هذا يجب علينا أن نجتهد فيه ونسعى له.

يعني بعد الأخذ بالأسباب واستفراغ الوسع في تحصيل النصر والسعي لتحصيل النصر نقول النتيجة على الله، النصر يتجزَّأ يعني، ممكن يكون النصر كاملًا يعطيه الله -سبحانه- لمن يشاء، وممكن يعطيه بعض النصر ويحرمه من بعضه.

الله -عز وجل- يعطي الناس -العباد- النصر على قدر أخذهم بأسباب النصر التي سنتكلم عنها.

وهذه الصورة هي الصورة التي يقصدها الإنسان دائمًا عندما يتكلم عن النصر أو عندما يسأل الله النصر، فالغالب الناس يقصدون هذه الصورة وهذا المظهر من مظاهر النصر، يقصدون ماذا؟: اللهم انصرنا، اللهم انصر المؤمنين. يعني يعطيهم الغلبة على الأعداء والتمكين في الأرض والقوة والسلطان وتكون يدهم هي العليا، هذا الأمر غالب يعني.

لكن ممكن إنسان ما يعطيه الله -سبحانه وتعالى- هذه الصورة مثلًا، لكن يعطيه الشهادة والفوز في الآخرة، الفوز الأخروي، هذا أعظم النصر وإن كان نصر مؤجَّل ليس نصرًا مُعجَّلًا الآن، لكن في ضمنه نصرٌ مُعَجَّل -سأتكلم عليه في النقطة الأخرى- لكن هو في غالبه منظورٌ فيه إلى الآجل، إلى العاقبة، الشهادة والفوز في الآخرة، والفوز الأخروي والنجاح.

الثبات على الدين والحق والمبادئ، الثبات، كَوْن الإنسان مع الصراع مع الفتنة، كَوْن الإنسان على طول طريق الصراع والحرب والفتنة ومكر الأعداء وغيرها هو ثابتٌ على دينه، ثابتٌ على الحق، ثابتٌ على مبدئه، مبادئ الحق، مبادئ العدل والفضل والإحسان، هذا هو في حد ذاته نصر ومعنى من معاني النصر، وجوده واستمراره ثابتًا على هذا الدين، انتصار

دعــوة الإنســان، دعــوة العبد المــؤمن، انتصــار دعوته ومبدئه وظهورهــا، كارتفاعها وعلو كلمتها في النــاس وانتشــارها في النــاس هــذا نــوع من الانتصار.

ولهــذا قــالوا في الغلام، الغلام صــاحب الملــك، الغلام صــاحب الســاحر والكاهن، الغلام الذي دلَّ الملك على كيفية قتله وجعل هـذه الكيفية سـببًا لإيمان الناس فآمَن الناس لـمَّا قال له: لن تستطيع أن تقتلـني إلا أن تأخذ السـهم وتقـول بسم الله ربِّ الغلام. ففعـل، والملك هـذا كـان يقـول: أنا الله! الملك كان يدَّعي الألوهية، فقال أنت ما تستطيع أن تقتلني يعـني إلا أن تعترف بربوبية الله وتلجأ إلى الله وتُعظِّم الله. فهـذا فيه اعـتراف بأنه عبدٌ حقير ليس ربًا.

في النهاية عَمِل بما قاله له وأخذ الســـهم وقـــال: بسم الله رب الغلام. فرماهُ فقتلهُ

فقال الناس: آمنَّا برب الغلام.

فـآمن النـاس، فخَـدَّ لهم الأخاديد وقتلهم بالنـار بعد ذلـك، ولكن انتشـرت دعـوة الإنسـان وانتشـرت كلمته الـتي هي كلمة الحق وظهـرت وآمن بها النـاس وصـار النـاس مؤمـنين، النـاس هكـذا بـالإطلاق دلالة على الكـثرة الغالبة.

هو رزقه الشهادة الله -سبحانه وتعالى- وفـازت وانتصـرَت دعوته ومبـدؤه وظهــرت وانتشــرت، ونحن ما نريد إلا انتصــار الحق وانتصــار دين الله -سبحانه وتعالى-، فإذن هذا نوع من الانتصار.

وقد يجمع الله -سـبحانه وتعـالى- للعبد بعض هـذه المظـاهر والصـور من النصر أو كلها ففضل الله يؤتيه من يشــاء، وقد يعطيه بعضــها، قد يعطيه مثلًا أنه ثَبَت على الدين والحق ثم مات مثلًا لم يُرزق حتى الشـهادة! لكنه مات على الحق، فهذا نوع من الشهادة وإن كان ليست الكاملة مثلًا ولكن لا بأس قريبٌ منها، وفضل الله يؤتيه من يشاء، وهكذا يعني أنواع.

لكن في الغالب بالنسبة للمؤمن أنه يُحصِّـل على بعضـها كلهـا، طبعًا ليس شيئًا قليلًا منها، حصل على كثير منهـا، يتحصَّـل المـؤمن في الغـالب على

كثير منها، إن لم يَتحصَّل على الشهادة فيمـوت على طريق الحق فـالفوز الأخروي مضمون له وإن كـان ليس في أعلى درجـات الشـهادة ربما لكنه مضمونٌ له، الفـوز الأخـروي هـذا معـنى أعم من الشـهادة، والثبـات على الدين والاستمرار عليه هذا في الغالب مضمون للعبد المـؤمن الـذي يثبت على الدين، نفس الثبات على الدين هو نصر، هو انتصار، وانتصار الــدعوة في الغــالب أيضًــا للمؤمــنين حاصــلة، وإن كــانت أحيانًا قد تَخبو الــدعوة مراحل مُعيَّنة في بعض الفــترات ثم يظهرها الله -سـبحانه وتعـالى- على أيدي بعض خلقه من جديد مرة أخرى وهكذا، لكن في الغالب تحصل هذه يعني.

السبب الجـامع لأسـباب النصر هو المـذكور في هـذه الآيـة، عنـدنا آية في القرآن آية مُجمَلَة جامعة، الفاذَّة التي جمعَت أسباب النصر كلها يعــني لم تترك شيئًا، وهي قوله -تعالى- في سورة محمد ﷺ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} هذا الجواب.

"إن" هــذه شــرطية، "تنصــروا الله" هــذا فعل الشــرط، "تنصــروا" فعل الشــرط مجـزوم محـذوف النـون؛ لأنه مجـزوم بــ"إن" الشـرطية، جـواب الشرط أو الجزاء، يسـمى الجـواب أو الجـزاء "ينصـركمْ" مجـزوم وعلامة جزمه السكون؛ لأنه فعلٌ صحيح غير مُعتَلّ.

"ينصركم" وعَطَف عليه "يُثبت" {وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} هذا الســبب الجُمْلي الإجمالي العام، أجملَتْه هذه الآيــة، أجملَتْ جميع الأسـباب، كل ما سوف نتحدث عنه من أسـباب للانتصـار والغلبة على الأعـداء داخـلٌ تحت هذا المعنى، داخل تحت معنى هذه الآية.

{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} فـبيَّن الله -سـبحانه وتعـالى- لنا في هـذه الآية أنه إذا نَصَـرْنا اللـه، فـإن الله ينصـرنا ويثبت أقـدامنا، ومن معـنى ذلك أنه بحسب وعلى قـدر نصـرتنا لله -عز وجل- الله ينصـرنا ويثبت أقـدامنا، إن نصـرناهُ قليلًا بحسَـبِه، وإن نصـرناه نصـرًا كـاملًا فبحسَـبِه النصر وتثـبيت الأقدام.

ما معنى {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ}؟ تنصروه يعني: تنصروا دينه، أي: تكونوا معه في صَفِّه وفي حَدِّهِ، تنصروا دينه وتكونوا أولياءه، تنصروه بطاعتكم له وبعبادتكم وتوحيدكم لله -سبحانه وتعالى- وبقيامكم بأمر الله -سبحانه وتعالى- ظاهرًا وباطنًا، هذا معنى نصر الله -سبحانه وتعالى- فبحسبه ينصرنا الله ويثبت أقدامنا.

وقريبٌ منها قوله -تعالى- في سورة الحج: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ}

{وَلَيَنْصُرَنَّ} اللام هذي لام التوكيد، التي يسمونها اللام المُوَطِّئة للقَسَم، في الحقيقة هي تأتي بعد قَسَم، كيف؟ فيه قسم مُقَدَّر يعني كأن الله -سبحانه وتعالى- يُقسِم ويقول: والله -مثلًا- لينصرنَّ الله من يَنصره. ففيها توكيد شديد، {وَلَيَنْصُرَنَّ} يُقسم الله -سبحانه وتعالى- أنه ينصر من يَنصره، الله -عز وجل- ينصر من ينصره، نصر الله -سبحانه وتعالى- هو ماذا؟ الكَوْنُ مع الله بعبادته وحده لا شريك له والعمل بطاعته ونصرة دينه والكون مع أوليائة ونصرة أوليائه وشريعته وهكذا.

القرآن ورد فيه آيات متعددة تُبيِّن فيه معنى نصرة الله -عز وجل-، تُبيِّن معنى {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ} ما معناها يعني، في آيات كثيرة يمكن أن نقرأ بعضها، منها قوله -تعالى- في سورة الأعراف: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} التعزير: بمعنى التعظيم، الاحترام البالغ والتعظيم.

هذا مما يُبيِّن النصر، أنه اتباع للنبي وتعزيره وتعظيمه من هذا السياق، يُذكَر من هذه الألفاظ، فمثلًا قال الله -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}

كونوا أنصار الله، عيسى -عليه السلام- قال لبني إسرائيل عمومًا، {قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ} ونصروا الله فعلًا.

الله -سبحانه وتعالى- يضرب لنا بهم مثلًا فيقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} مثل الحواريين عندما نصروا عيسى ابن مريم وآمنوا به واتَّبَعوه وعزَّروه وعَظَّموه واحتَرَموه ونصروا دينه ودعوته، فهذا معنى نصر الله -سبحانه وتعالى-.

قال الله -تعالى- في سورة الحديد: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}

الله -سبحانه وتعالى- أخبرَنا أنه أنزل هذه الأشياء، أنزل الكتاب والميزان؛ لأجل ماذا؟ ليقوم الناس بالقسط، وأنه أنزل الحديد قال: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ} الذي تُصنَع منه هذه الآلات

{فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} الحرب وآلات الحرب

{وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} كثيرة لا يعلمها إلا الله.

وايضًا من جملة الحِكَم في إنزاله وخلْق الله إياه لنا وتسخيره لنا {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ} فنصرة الله -سبحانه وتعالى- المقصودة هنا نصرته بالجهاد في سبيل الله.

ويقول الله -سبحانه وتعالى- في سورة الحشر في شأن المهاجرين في سبيل الله أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والعشرة المبشرون بالجنة وغيرهم من المهاجرين في سبيل الله: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}

فهؤلاء المهاجرون الذي هاجروا مع النبي ﷺ ونصروا الله ورسوله، الله -سبحانه وتعالى- يقول: {أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}

كيف كانت نصرتهم لله ورسوله؟ باتباعهم لرسول الله ﷺ وكَوْنِهم معه، وبولائهم له وللمؤمنين ولدين الله -سبحانه وتعالى- ووقوفهم مع الله -عز وجل- ومع رسوله ومع المؤمنين باتِّباعهم لدين اللـه، عملهم بطاعة الله -عز وجل- وثباتهم على هذا الدين وهجرتهم وجهادهم في سبيل الله وصبرهم، هذا هو نصرهم لله -عز وجل-

فالله -عز وجل- أخبر عنهم بأنهم ينصرون الله ورسوله.

وفي آية الحج هذه {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ* الَّذِينَ} "الذين" هذه إما بيانٌ وإما بدلٌ لـ"مَن"، "مَن" هذه اسم موصول.

{وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} كأنه قال: ولينصرن الله الذين ينصرونه الذين إن مكَّناهم في الأرض.

فهي إما بدلٌ منها أو بيانٌ لها.

{وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} هذا تذييل مثل الاعتراض، جملة مُعترِضة، بعدين قال: {الذين} فبَيَّن "مَن" هذه، {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}

فبيَّنَ من هم الذين ينصرهم؟ هؤلاء الذين إن مكَّناهم، الذين لو قُدِّر لهم التمكين، لو قُدِّر أن الله مكَّنهم في الأرض فماذا يفعلون؟ يشربون خمر؟ يأتوا بالموسيقا والصور والبنات؟ هاه؟!

لا، {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ} وفعلوا المقصود، يعني هذا اكتفاء، يسمونه اكتفاء، الله -سبحانه وتعالى- يذكر بعض ما يكفي، فهمت كيف؟

والمقصود: عِملوا بطاعة الله -سبحانه وتعالى- ومكَّنوا لدين الله -عز وجل- هذا المقصود، أقاموا الدين.

فهذا -يا إخواننا- على وجه الإجمال، مُجمَل يعني بدون دخول في التفاصيل الدقيقة، هذا على وجه الإجمال وهذا يكفي للعبد المؤمن، ومع

هذا الشريعة جـاءت بأسـباب كثـيرة تفصـيلية إما عن طريق النص وإما ما يُستَنبَط منها ويؤخَذ من نصوصها العامة وظواهر نصوصها وهكذا.

ومن أجل الاستذكار وتفهيم المسائل تكون أمام الإنسان، أمام عقله يعني واضحة، نذكر بعض التفاصيل بعد الإجمال.

فأول أسباب النصر على التفصيل يعني:-

- أن نكـون نحن المجاهـدين في سـبيل الله حقًـا، أن نحقق الجهـاد في سـبيل الله لا مجـرد دعـوة باللسـان ونقـول نجاهد في سـبيل الله ونحن نلعب، ونحن نجاهد من أجل أهوائنا! لا، أن نكون مجاهدين في سـبيل الله حقًا.

سبيل الله، طريق الله له حدَّان، ما هما؟

- موافقة الشريعة، هذا هو المقصود في سبيل الله.

- صحة الاعتقاد والتوحيد لله -سبحانه وتعالى- التقوى والعمل الصالح، لأن السبب الثاني هو صحة الاعتقاد، لا بد أن يكون اعتقاداتنا صـحيحة، أعمـال القلوب صحيحة، تصوُّراتنا صـحيحة، أن نعتقد في الله -عز وجل- الاعتقـاد الصـحيح، ونعـرف أسـماء الله الحسـنى وصـفاته العليا وما يليق بالله -عز وجل- من التعظيم وما يليق في ذِكْــره، وفي تصــورنا له -لله ســبحانه وتعـالى-، ما يليق أن نعتقـده فيه من الأسـماء والصـفات، وكـذلك التوحيد لله -سبحانه وتعالى- نوحد الله -سبحانه وتعـالى- في جميع الأعمـال ليس بالأعمال الظاهرة فقط، وإنما بالباطنة.

أن نوحد الله -سـبحانه وتعـالى- في أن نخافه ونخشــاه وأن نَرهَبَــهُ وأن نتقيه، ونتقي عذابه وسخطه وغضبه، أن نحب الله -سبحانه وتعـالى- أكـثر من محبتنا لكل شيء، لأي شيء، وما نحبه من الأشـياء نجعل محبته تابعة لمحبتنا لله، وهكذا هي أعمال القلوب.

وكذلك التقوى والعمل الصالح سـواءً كـان الظـاهر والبـاطن، يـدخل تحت هـذا، تحت صـحة الاعتقـاد والتوحيد لله -سـبحانه وتعـالى- يـدخل تحته أن نعتقد أن النصر من عند الله وحده، قال الله -تعـالى-: {وَمَا النصر إِلاَّ مِنْ عِنــدِ الله الْعَزِيــزِ الْحَكِيمِ} {وَمَا تَــوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ} ونعتقد أن النصر لا

يملكه إلا اللــه، ولا يعطيه إلا اللـــه، لا بأســبابنا ولا بقوتنــا، ولا بحولنا ولا بذكائنا، ولا بمهـارة ولكن هو من عند الله وحـده لا شـريك له {وَمَا النصر إلاَّ مِنْ عِندِ الله}.

- الله -سـبحانه وتعـالى- عنـدما أيَّدَ المسـلمين الصـحابة المجاهـدين في سـبيل الله مع رسـول الله ﷺ عنــدما أيَّدهم بالملائكة ومـدهم بمـددٍ من الملائكة -تصوَّر! من ملائكة، واحد فقط يكفي- ولكن مع هذا مـدهم الله -سبحانه وتعالى- بـألفٍ من الملائكة مُـردِفين في بـدر، وكـذلك في أُحد ما أمدَّهم بالملائكة وقال: {بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُـوا وَيَـأْتُوكُمْ مِنْ فَـوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَـوِّمِينَ} مـدهم بالملائكة قـال لهم مـاذا؟ النصر مش بالملائكــة، أنا أسـتطيع أن أنصـركم بـدون ملائكة أصلًا، انتصروا تنتصروا، كُن فيكون، ولكن مـاذا؟ قـال: {وَمَا جَعَلَـهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِـهِ} تطمئن القلـوب، وتفـرح وتُسر ويحصل لكم الســرور والبِشــر، فهــذا من نعمة الله -ســبحانه وتعــالى- ولطفه وإحسانه ورحمته بخلقه وبعباده المؤمنين.

ولكن النصر لا، وما النصر إلا من عند الله وحــده لا شــريك لــه، فلا بد أن نعتقد هذا.

والخلق كلهم خلق اللــه، والمُلك كله مُلك الله -سـبحانه وتعـالى- ولا يقع في ملك الله إلا ما يريد الله وإلا ما يـــأذن الله بــــه، ومن جملته إعطـــاء النصر لمن يريد -عز وجل- ولهذا الله -سـبحانه وتعـالى- قـال مـاذا؟ {كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ}.

وقال أيضًا في قصة طالوت وجالوت: { وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَــالُوا رَبَّنَا أَفْـرِغْ عَلَيْنَا صَـبْرًا وَثَبِّتْ أَقْـدَامَنَا وَانْصُـرْنَا عَلَى الْقَـوْمِ الْكَـافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ..} بدون إذن الله لا تهزم شـيئًا ولا تسـتطيع أيها العبد أن تنتصر {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَـةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ}

النصر بـإذن الله ومعـنى إيش؟ من عند اللــه، ولهـذا علينا أن نتوكل على الله وحــــده، توكل على اللـــــه، ونثق في الله ونحسن الظن بالله ونطلب النصر من عند الله وحده، وندعوا الله -سـبحانه وتعـالى- ونلح في الـدعاء

على الله -عز وجل- لا نطلب النصر من غـير اللـه، ونوكِّل الله -عز وجل- في كل أمورنا، هذا معنى التوكل.

- التوكل: أن تفـوض أمـورك إلى الله -سـبحانه وتعـالى- وتوكله وتتخـذه وكيلًا كما قال الله -سبحانه وتعالى-: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} اتخذه وكيلًا في كل أمورك وكِّله أمورك معروف معنـاه، أنا الآن عندي مال -مثلًا- أريد أن أعمل مشروع فآتي إلى هـذا الأخ أقـول له: خذ هذه الفلوس وكَّلتك تفعل لي كذا وكذا.

أو أريد أشـتري سـيارة مثلًا، فـأقول: خذ هـذه الفلـوس أنت تشـتري لنا بينجو[1] جيد، أن تذهب إلى السوق تشتري بينجو.

هو هـذا وكيـل، أنا اتخذته وكيلًا في هـذا الأمـر، وكَّلته أمـري، لمـاذا وكلته أمري؟ لأنني أثق فيه، لأنـني أعلم أنه يفعل لي الشـيء الصـالح، لأني أثق فيه وأعلم أنه لا يخدعني ولا يخونني وأنه يريد لي الخير ويريد لي الصلاح، ولأنني أثق في قدرته هل أذهب لواحد جاهل أقول له اشترِ لي سيارة؟ أنا جئت لهذا الرجل، لماذا؟ لأنني أعرف أنه يعلم كيف يشـتري السـيارة، هو ماهرٌ عليمٌ يعرف كيف يشتريها ويشتري الشيء الجيد، وهو يريد الخير لي فأنا وكَّلته في أمري.

الله -سبحانه وتعالى- يقول: يا مؤمـنين، يا نـاس، اتخـذوا الله وكيلًا، اتخـذِ الله وكيلًا، توكل على الله وكِّل أمورك لرب العزة -سبحانه وتعـالى- الحي الذي لا يموت، فتوكل على الحي الـذي لا يمـوت، وقـادر لا يعلو قدرته أي نقص، ويريد بك الخير، يريد بعبده الخير ولا يُعجـزه شـيء، ولا يعـزب عنه مثقال في السماوات والأرض، له الكمـال والجلال والجمـال المُطلق -لله عز وجل- فاتخِذ الله وكيلًا، توكل عليه في كل أمـــورك وفـــوِّض إليه كل أمورك فهو يقضيها لك، هذا معنى التوكُّل.

فنحن نتوكل على الله ونطلب النصر من عنـــده، فالله -عز وجل- يعطينا بحسب ذلك والأمر له -ســبحانه وتعــالى- {لَا يُسْـأَلُ عَمَّا يَفْعَـلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}

[1] **لعل الشيخ يقصد سيارة بيجو (Peugeot).**

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} ذكر الله كثيرًا، ذكر الله والاستمرار بكل أنواع الذكر، الذكر اللساني، وأهمها الذكر القلبي أن تكون دائمًا ذاكرًا لله بقلبك، والذكر باللسان باستمرار في الليل وفي النهار وفي كل وقت تسبيحًا وتهليلًا وأذكار الصباح وأذكار المساء أذكار النوم أذكار الدخول والخروج والشرب والأكل وكل شيء.

الذكر، يكون لسانك رطبًا بذكر الله، ليلك ونهارك وكل وقتك وعمرك عامرًا بذكر الله -سبحانه وتعالى- مملوءًا بذكر الله.

- الصبر والمصابرة والثبات على الطريق -من أهم الأسباب- لا بد نصبر ونصابر نمسك أنفسنا، نصبر ونصابر عدونا يعني نغلب عدونا بالصبر، ونثبت على هذا الدين وهذا الطريق لا يصيبنا الملل ولا الخَور ولا التردد ولا الضعف والوهن، نصبر ونصابر ونثبت على الطريق.

- تحقيق الولاء الإيماني -يعني الموالاة بين المؤمنين- وإصلاح ذات البين -ذات بين المؤمنين- أن يكون المؤمنون (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يَشُد بعضه بعضًا) كما قال .

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} ليس فيه خلل، وإصلاح ذات البين إصلاح القلوب بين المسلمين وتطابق القلوب والأخوَّة الإيمانية، أن يكونوا إخوةً متحابين كما قال النبي : (مثل المؤمنين في تَوادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوًا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى) هذا مثل المؤمنين، هذه صفتهم هكذا.

- إصلاح ذات البين {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} أصلحوا ذات بينكم، إصلاح ذات البين هي إصلاح ما بين المؤمنين أن يكون صالحًا، شأنهم الصلاح، المحبة، التوادد، التعاطف، التراحم أن يحب بعضهم بعضًا وأن يواسي بعضهم بعضا، ليس بينهم تدابر ولا شحناء ولا تحاسد -هذا والعياذ بالله- هذا مُفسد، هذا فساد ذات البين حينئذٍ يكون كما قال النبي : (فإن فساد ذات البين هي الحالِقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق

الـــدين) -فســاد ذات الــبين بين المؤمــنين- قلــوبهم إذا فســدت وحصل التحاسد والتـدابر والشـحناء وتفـرّق القلـوب فـإن هـذا فسـادٌ عظيم؛ لأن الرسول ﷺ يقول: (يحلق الدين) يعني: يُفسده، يذهب به بكُليَّة.

- حُسن الطاعة للأمراء والالتزام بالجماعة، واضح يعني قصة أُحد معروفة ومشهورة، هذا من أسباب النصر.

أما مخالفة أوامر الأمـير وهكـذا يـؤدي إلى الفشل ويـؤدي كما قـال الله -سبحانه وتعالى-: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}.

- التواضع لله -سـبحانه وتعـالى- ولخلقه أيضًـا؛ لأن الله أمر أن يتواضع بعضنا لبعض أن نَذِلَّ للمؤمنين.

التواضع وهو: تـرك التكـبر والـترفّع والتعـالي على الخلق -والعيـاذ بالله-، وإنما نفتقر إلى الله ونُظهر فقرنا إلى الله -ســبحانه وتعـــالى-، ونـــذل للمؤمنين ونكون رحماء مع المؤمنين.

وحُسن الخلق عمومًا هـــذا من الالـــتزام بمحاسن الأخلاق وبالفضـــائل جميعها، وحُسن الخلق هو لفظٌ جامعُ لكل الفضائل، قـالوا العلمـاء: "كـفُّ الأذى وبذْل المعـروف" أن يكـون الإنسـان مُتصف بكل خُلـقٍ حسـن، بكل فضـيلة طيبة صـالحة، في كلامــه، في موقفـه، في عملــه، في تعامله مع الناس، في كل شيء.

- من أسباب النصر المهمـة، اجتنـاب الظلم والفسـاد؛ فـإن الظلم يُفسد على المجاهد جهاده ويُفسد عليه النصر، وكذلك الفساد في الأرض.

والمجاهد إذا ملك الســلاح وملك القــوة تأتيه فتنة ظلم الخلق إن لم يكن معه دين وإيمان وتقـوى ويخـاف الله -سـبحانه وتعـالى- قد يظلم الخلـق، وقد يفسد في الأرض؛ لأن عنده السلطان!

عليه أن يتقي الله -ســبحانه وتعــالى- وهــذا داخــلٌ في التقــوى والعمل الصـالح لكن نحن نفـرده بالخصـوص من بـاب التنبيه عليـه، من بـاب ذكر الخاص بعد العام يعني.

- الدعوة إلى الله -عز وجل- تبليغ، ومعناها: أن يعلم المجاهد أنه داعية إلى الله، فهو المجاهد بجهاده، هو داعية إلى الله -سبحانه وتعالى- يدعو إلى دين الله، يدعو إلى تقوى الله -سبحانه وتعالى-، يدعو إلى توحيد الله، يدعو إلى الالتزام بطاعة الله -سبحانه وتعالى-، يدعو إلى طاعة الله عمومًا، يدعو إلى محاسن الأخلاق.

فهو داعية وحيث ما كان ينبغي أن يكون داعيةً، المجاهد داعية في سبيل الله.

النبي ﷺ عندما كان يرسل المجاهدين البعوث والسرايا والجيوش، يبعثهم لأي شيء؟ للدعوة، ويأمرهم ويوصيهم ويقول لهم افعلوا كذا وافعلوا كذا، ويقول لهم: يسروا ولا تعسروا على الناس، يسروا على الناس ولا تعسروا، وبشروا ولا تُنفِّروا، وافعلوا كذا ولا تفعلوا كذا، واجتنبوا كذا.

فالمجاهد هو في الحقيقة داعية إلى الله -سبحانه وتعالى- مُبلِّغ عن الله -عز وجل- معلم للناس.

(إنما بُعثتم مُيسرين) في لفظ، والنبي ﷺ يقول عن نفسه: (إن الله بعثني معلمًا ولم يبعثني مُتعنِّتا) الحديث في (صحيح مسلم).

فالمجاهد داعية إلى الله -سبحانه وتعالى- فيجب أن يستحضر هذا، ينبغي له أن يستحضر دائمًا أنه داعية إلى الله -عز وجل- وأن جهاده من أجل هداية الناس، أنه يجاهد من أجل هداية الناس، نحن نجاهد من أجل هداية الناس لا من أجل قتل الناس، القتل هو للضرورة، نحن نقتل الكفار؛ لأننا لا بد أن نقتلهم؛ لأنهم مُفسِدون طُغاة مُتجبرون يهجمون علينا وعلى المسلمين، ولأنهم يفسدون في الأرض ولأنهم قوة لا بد من إزالتها، فبالقدر الذي يناسب نحن نقاتل ونقتل ولكن الأساس هو أننا نريد للناس أن تهتدي.

ومن الخطأ هنا الذي يحصل عند المجاهدين أن يظنوا أن المجاهد هذا ليس داعية، المجاهد هذا محارب فقط ولا يدعو إلى الله!! ويتكلمون عن التبليغ والدعوة: هذا المجاهد تبليغ فقط!

لا ، المجاهد هو تبليغي أصــلًا وأفضل تبليغي هو المجاهــد، وأفضل داعية إلى الله -سـبحانه وتعـالى- هو المجاهـد، والمجاهد ينبغي أن يكـون داعية ويُبلِّغ النــاس ويُعلِّم النــاس ويُفهِّم النــاس ويــأمر بــالمعروف وينهى عن المنكر، هذي هي الدعوة وهذي وظيفة النبي □ وأتباعه، فالدعوة والجهاد أخَوان، فنحن نقوم بالجميع، نقوم بالدين كله.

جــزاكم الله خــيرًا وبــارك الله فيكم، نســأل الله أن يفتح علينا وعليكم، نســأل الله -عز وجل- أن ينصــرنا وأن يجعلنا من الفــائزين المفلحين في الــدنيا والآخــرة، نســأل الله -سـبحانه وتعــالى- أن يرزقنا وإيــاكم حسن الختام.

اللهم أصـلح لنا ديننا الـذي هو عِصـمة أمرنـا، وأصـلح لنا دنيانا الـتي فيها معاشُنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادُنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر.

اللهم إنَّا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العُلى أن تفتح علينا في العلم والعمــــل، اللهم ارزقنا تقـــواك وخشـــيتك في الغيب والشـــهادة يا رب العالمين.

اللهم إنَّا نســألك أن تنصــرنا وأن تنصر المجاهــدين في ســبيلك في كل مكان، اللهم انصر المجاهدين في سـبيلك في أفغانسـتان وباكسـتان وفي كل مكان.

اللهم اجعلنا من عبادك السعداء في الدنيا والآخــرة، اللهم اختم لنا بخاتمة السعادة في سبيلك يا رب العالمين.

اللهم إنَّا نسألك أن تُفرِّج كروبنا وكروب المسلمين

اللهم إنَّا نسألك أن تستر عوراتنا وعورات المسلمين

اللهم إنَّا نسألك رضوانك والجنة

اللهم إنَّا نسألك الفردوس الأعلى في الجنة

اللهم إنَّا نسألك الفردوس الأعلى في الجنة

اللهم إنَّا نسألك الفردوس الأعلى في الجنة.

والحمد لله رب العـالمين أولًا وآخـرًا وظـاهرًا وباطنًـا، وصـلى الله وسـلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.